

انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

SPREAD OF THE MALIKI DOCTRINE IN THE MIDDLE MAGHRIB

Dr. Ahmed Belguandouze HEBALI الدكتور: أحمد بلقندوز حبالى

Univ. of ORAN1 جامعة وهران 1

belgandouze-hebali77@outlook.fr

Accepted:	2018/11/16	قبل للنشر:	Received:	2018/04/16	استلم:
-----------	------------	------------	-----------	------------	--------

ملخص:

دخل المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط من البوابة الشرقية المحاذية لتونس، وكان ذلك في القرن الثالث على يد فقهاء كثر كان من بينهم: إسحاق بن أبي عبد الله عبد الملك الملشوني، ويحيى بن خالد السهمي التاهرتي؛ حيث أدخل هؤلاء الفقهاء المدونة إلى أرض المغرب الأوسط، وتولّى بعضهم القضاء، ثم بدأ الانتشار بداية من القرن الرابع حيث سجّلت كتب التراجم الكثير من الفقهاء عبر أنحاء المغرب الأوسط وذكرت وظائفهم العلمية كالقضاء والإفتاء والتدريس، وذكرت أيضاً مؤلفاتهم التي تبقى شاهدة على مسيرتهم عبر هذه القرون، وتؤكد انتشار هذا المذهب في ربوع المغرب الأوسط؛ إلّا أنّ هذه المؤلفات، مازال غالبيتها في حكم المفقود.

الكلمات المفتاحية: المذهب المالكي؛ المغرب الأوسط؛ الجزائر؛ الفقهاء؛ القرن؛ الانتشار.

Abstract

The maliki Doctrine entered algeria in the 3rd century thanks to faquihs (philologists) across the East Gate adjacent to Tunisia among them: Ishak ben Adi Abdellah Abd El Malek El Malchouni and Yahia Ben Khaled El Sahmi El tahirti.

Among these philologists (faquihs) those who have installed the blog in Algeria and others who have exercised jurisdiction.

The spread of this doctrine began in the fourth century, of which many philologists (faquihs) were inscribed throughout Algeria in biographical books (al tarajim).

Their scientific functions such as jurisdiction, prostration and teaching have also been cited.

Their works have also been cited and remain not only as a witness to their legacy throughout this century. but also confirm the spread of this doctrine throughout Algeria.

Nevertheless the majority of these works remain lost.

Keywords : *the Maliki Doctrine; middle west; the algeria; the faquihs (philologists); The century; The propagation.*



مقدمة:

غلب على أهل المغرب -قبل الإسلام- التدين بالمسيحية، وشيء من اليهودية والوثنية، واستمر هذا الأمر إلى أن بدأ الفتح العربي الإسلامي من بلاد المغرب الأدنى (تونس)، ثم سرى إلى المغرب الأوسط-الجزائر-، وكان هذا الفتح مصحوباً بتعليم الناس أمر دينهم فظلّ الناس يأخذون الفقه عن الصحابة ثم التابعين، إلى أن ظهر أمر المذاهب؛ حيث كان المذهب الحنفي في طليعة المذاهب الداخلة إلى المغرب الأدنى، ثم تلاه المذهب المالكي، والذي تسرب في القرن الثالث الهجري إلى المغرب الأوسط من خلال شرقه المحاذي للمغرب الأدنى، ثم بدأ في الانتشار إلى بقية المناطق، فكيف كان هذا الدخول؟ وعلى يد من كان؟ وما هي بعض مظاهر انتشاره؟

وللإجابة على هذه الأسئلة، سطرت الخطة التالية: مقدمة ومبحثين وخاتمة، ذكرت في المقدمة إشكال البحث، والخطة المتبعة لمعالجته، وتكلّمت في المبحث الأول: عن الفتح العربي الإسلامي للجزائر، ودخول المذهب المالكي إليها، وفي المبحث الثاني عن بعض مظاهر انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط، ثم ذيلت ذلك بخاتمة ذكرت فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الفتح العربي الإسلامي للجزائر، ودخول المذهب المالكي إليها.

يتناول هذا المبحث ثلاثة من المطالب، المطلب الأول: الفتح العربي الإسلامي للجزائر، والمطلب الثاني: تناولت فيه ماهية المذهب المالكي، والمطلب الثالث: تناولت فيه دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط.

المطلب الأول: المغرب الأوسط-الجزائر- والفتح العربي الإسلامي.

يتناول هذا المطلب فرعين: الأول في التعريف بالجزائر، والثاني في كيفية الفتح العربي الإسلامي لها.

الفرع الأول: التعريف بالجزائر.

أصل كلمة الجزائر، هو اسم لمدينة عظيمة على البحر الأبيض المتوسط، عُرفت قبل الفتح العربي الإسلامي باسم: أقسيوم وفي العصر العثماني اتُخذت هذه المدينة عاصمة لوطن مترامي الأطراف، ذو حدود مقررة، واشتق اسم هذا الوطن من اسم عاصمته كما هو شأن كثير من الدول؛

ويعتبر هذا البلد جزء من وطن كبير، كان يُعرف قبل مجيء الفينيقيين باسم: «ليبية» والتي كانت تضم طرابلس وتونس، والجزائر، ومراكش، وكانت الجزائر في تقسيم اليونانيين واللاتينيين ثلاثة أقسام: الأول: يسمّى: مصييليا، ويقصدون به سهول سطيف، وبرج بوعرييج، والجزائر، ووهران إلى وادي ملوية غرباً.

والثاني: يدعى: مصييليا، ويقصدون به قسنطينة، وغرب تونس إلى طبرقة، ثم صارت مصييليا تعرف بموريطانيا الشرقية ومصييليا: بنوميديا.

والثالث: يسمّى: جيتولية، ويعنون به صحراء موريطانيا ونوميديا.

ولما حلّ الفاتحون بهذه الأرض، نظروا إليها فوجدوها تقع غرب جزيرة العرب، فسمّوها المغرب، ويقصدون به المنطقة بين برقة شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، ثم قسموا المغرب في حدّ ذاته إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط (الجزائر)، والمغرب الأقصى، وحدود المغرب الأدنى ما بين برقة شرقاً وبجاية غرباً، وحدود المغرب الأوسط ما بين بجاية شرقاً ووادي ملوية غرباً، وحدود المغرب الأقصى ما بين وادي ملوية شرقاً، والمحيط غرباً،⁽¹⁾ ثم أصبحت الجزائر الحديثة تنحصر بين البحر المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، وتونس وصحراء ليبيا شرقاً، والمغرب غرباً، تبلغ مساحتها نحو مليونين وربع مليون كيلومتر مربع.⁽²⁾

الفرع الثاني: الفتح العربي الإسلامي للمغرب الأوسط.

كان أهل المغرب الأوسط وأبناء عموماتهم التونسيون والمراكشيون يدينون في الأصل بالوثنية، إلى أن ظهرت الموسوية (اليهودية) والمسيحية،⁽³⁾ وهي ذات مذاهب ثلاثة متباينة: الأرثوذكس (شيعية

(1) تاريخ الجزائر في القدم والحديث: الميلي. 46-45/1.

(2) الجزائر الثائرة: الورتلاني. 318.

(3) المصدر نفسه: 319.

الرّومان) والأريويين من الوندال، والدّونويين من بربر المغرب الأوسط وإن كان أصل الموسوية والمسيحية الوحي؛ إلا أن التحريف والتبديل دخلهما، إضافة إلى الغلو في تعظيم بعض المخلوقات حتى أمست وثنية فعبدوا الشمس والقمر (وهما من معبودات المصريين)، وبعض الحيوانات: كالقرد، والثور، والكبش، والتيس، وعظّموا بعض الأشجار والجبال والعيون، عاشت هذه المسيحية المحرفة بينهم قريباً من سبعة قرون لا مزاحم لها؛⁽¹⁾ حتى انبثق نور الإسلام، فعمّر القلوب واستقرّ فيها استقراراً راسخاً، فإذا هو عقيدة ودين وقومية.⁽²⁾

بدأ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الغرب الإسلامي عموماً بفتح طرابلس في عصر عمر بن الخطّاب على يد واليه على مصر: عمرو بن العاص سنة: 22هـ، ثم تلاه في عصر عثمان فتح إفريقية (تونس) سنة: 27هـ بقيادة واليه على مصر: عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري،⁽³⁾ فبلغوا قفصة (مدينة تونسية)، وأقاموا في هذه البلاد المفتوحة سنة وثلاثة أشهر، ثم طلب أهلها الصّلح، ودفعوا مالأً عظيماً لابن أبي سرح، فقيل به وعاد هو وجيشه إلى مصر.⁽⁴⁾

بقي أمر البربر والرّوم مدة ثمانية عشرة سنة في الفوضى، ولم يرجع إليهم الفاتحين لانشغالهم بما حدث زمن عثمان، وبعد أن أفضى الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، أرسل جيشاً تحت إمرة معاوية بن حديج (الصّحابي) سنة: 45هـ - 665م، ففتحت سوسة وبنزرت، وجربة وجزيرة صقلية، وبعد معاوية هذا، أرسل الخليفة إلى إفريقية عقبة بن نافع الفهري، الذي وضع أساس الفتح العربي الإسلامي بالمغرب، وكان ذلك في سنة: 46هـ، أو بعدها بقليل بصفة أمير جيش،⁽⁵⁾ وفي سنة: 50هـ - 669م سمي

(1) تاريخ الجزائر: 38/2-39؛ 74/1-76.

(2) الجزائر الثائرة: 319.

(3) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري. 8/1.

(4) تاريخ الجزائر: 22/2.

(5) المصدر نفسه: 22/2-23.

والياً عليها؛⁽¹⁾ حيث اشتغل عقبة بإخضاع البربر والرّوم لولايته، وتثبيت قدم العرب بإفريقية،⁽²⁾ كان في عسكره ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائرهم من التابعين،⁽³⁾ ولما دخل إفريقية انضاف إليه مُسلمة البربر، ودخل أكثرهم في الإسلام، ورسخ الدين، ثمّ عزله معاوية بن أبي سفيان، وولى على مصر وإفريقية معاً مسلمة بن مخلد الأنصاري، الذي استعمل أبا المهاجر ديناراً على إفريقية سنة: 55هـ-675م.⁽⁴⁾

قال ابن خلدون: «إنّ أبا المهاجر، الذي وليّ إفريقية بين ولايتيّ عقبة بن نافع الأولى والثانية، توغلّ في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان، وبه سمّيت عيون أبي المهاجر قريباً منها»⁽⁵⁾
عاد عقبة بن نافع من جديد إلى ولاية إفريقية سنة: 62هـ-681م، بأمر من يزيد بن معاوية حين أفضت الخلافة إليه، فأخذ

في غزو الرّوم والبربر،⁽⁶⁾ ثمّ اجتمع عليه الرّوم والبربر والكاھنة (صاحبة جبل الأوراس)، لما رأوا قلة عدد من مع عقبة، فاستشهد ومن معه وكانوا زهاء ثلاثمائة من الصّحابة وكبار التابعين، وأحداث الصّحابة رضي الله عنهم في أرض الزّاب، واتخذ على قبر عقبة مسجد عرف باسمه،⁽⁷⁾ وهو المسجد الجامع للقرية التي تُعرف لعهدنا هذا باسم: «سيدي عقبة»⁽⁸⁾

(1) البيان المغرب: 19/1.

(2) تاريخ الجزائر: 23/2.

(3) البيان المغرب: 20/1.

(4) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون. 12/3-13.

(5) المصدر نفسه: 102/7.

(6) البيان المغرب: 23/1.

(7) تاريخ ابن خلدون: 194/6.

(8) تاريخ الجزائر: 28/2.

بعد استشهاد عقبة، توقف سير الفتح، وأقام زهير بن قيس البلويّ على مَنْ بقي من المسلمين في برقة خمس سنين ينتظر المدد من الخليفة، وفي سنة: 67هـ بعث إليه عبد الملك بن مروان بالمدد، فقتل كسيلة وهزم البربر.⁽¹⁾

وفي سنة: 78هـ، عين الخليفة: عبد الملك بن مروان، حسان بن النعمان والياً على إفريقية، فدخلها في عسكر عظيم، لم يدخل المسلمون قط إفريقية بمثل ما دخلها⁽²⁾ فهزم صاحب قرطاجنة؛ ثم علم بأمر امرأة مهيبة في جبل الأوراس تسمى: الكاهنة، فسار إليها في جيشه فهزمته، وملكت المغرب بعد هذه الهزيمة خمس سنين، وأقام حسان في برقة، وبنى قصوراً بها، ثم أرسل إليه عبد الملك بن مروان مدداً عظيماً فقتل الكاهنة وهزم جيشها، واستأمنه جماعة من البربر وأسلموا على يديه وشاركوا مع الفاتحين في قتال الروم ومن ارتدّ من البربر ببقية أرض المغرب، وكان ذلك في سنة: 83هـ؛ فصار بعد ذلك لا ينازعه أحد،⁽³⁾ وعلى يديه تمّ الفتح حرياً وسياسياً ودينياً، فاستتب الأمن، وأقبل الناس على شؤونهم؛ وبهذا يكون الفتح قد أخذ نحواً من أربعين عاماً، لم يكتم مؤرّخو الإفرنج تعجبهم من سرعته.⁽⁴⁾

المطلب الثاني: ماهية المذهب المالكي.

عاشت المدينة المنورة حركة علمية قوية في القرون الأولى، ولما وُلد مالك تشرب من هذا المعين العلمي الكبير، فنبح في زمانه وحصل على رتبة الاجتهاد المطلق؛ حيث صارت له أصول خاصة يعتمد عليها في استنباط الفروع الفقهية؛ فضربت له أكباد الإبل محاولة لتحصيل علومه، فكان لا يسأل من أين؟ ولم؟ ثم جاء من بعده تلامذته فنشروا علمه في الأمصار، فكان منهم من نحى نحوه في الأصول،

(1) تاريخ ابن خلدون: 194/6.

(2) البيان المغرب: 34/1.

(3) المصدر نفسه: 36/1-37-38.

(4) تاريخ الجزائر: 35-34/2.

ومنهم من اكتفى بفروعه يقيس عليها، فتكوّنت ثروة فقهية هائلة، أطلق عليها اسم: «المذهب المالكي» فما المراد بالمذهب لغة واصطلاحاً؟

المذهب لغة: يريد اللّغويّون بكلمة المذهب عدّة معان منها: القصد، الطّريقة، الرّأي،⁽¹⁾ وزاد ابن منظور في اللّسان اثنين آخرين هما: مكان الدّهاب، المعتقد.⁽²⁾

فيكون المذهب هو الطّريق ومكان الدّهاب، يقال: ذهب القوم مذاهب شتّى، أي: ساروا في طرائق مختلفة، وذهب الشّخص مذهبه: سار في طريقه.

المذهب اصطلاحاً: لم يكن لفظ المذهب بالمفهوم الاصطلاحيّ شائعاً بين الفقهاء المجتهدين؛ وإنّما كانت لهم طرائق في الاستنباط يسلكونها اعتماداً على نصوص الوحي، وينشرون فقه الصّحابة والتّابعين؛ لكنّ وَرَدَ معنى المذهب في قول مالك «إنّما أنا بشر

أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلمّا وافق الكتاب والسّنة فخذوا به، وكلمّا لم يوافق الكتاب والسّنة فاتركوه»⁽³⁾

وهذا الكلام يوحى بوجود بذرة المذاهب، ويؤكّده اعتماد أهل المدينة على فتاوى ابن عمر، وأهل مكّة على فتاوى ابن عبّاس، وأهل الكوفة على فتاوى ابن مسعود، ولم يحدث هذا الإطلاق الاصطلاحيّ إلّا في القرن الرّابع الهجريّ كما هو معلوم.

وعند تتبّعي لبعض كتب فقهاء المالكية، وجدتهم يُطلقون المذهب على ثلاثة إطلاقات: الأوّل: أطلق على ما اختصّ به صاحب المذهب.

(1) المصباح المنير: الفيومي. مادة ذهب.

(2) لسان العرب: ابن منظور. مادة ذهب.

(3) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر. 775/1.

جاء في تعريف الخطّاب: «هو حقيقة عرفيّة، فيما ذهب إليه إمام من الأئمّة من الأحكام الاجتهاديّة»⁽¹⁾

وعرفه النّفراويّ بقوله: «هو ما ذهب إليه الإمام من الأحكام، معتمدة كانت أو لا»⁽²⁾

وعرفه العدويّ فقال: «تعرف في الأحكام التي ذهب إليها إمام من الأئمّة»⁽³⁾

فقد حصرت هذه التعريفات المذهب فيما رآه إمام المذهب وحده.

الثاني: يطلق على ما ذهب إليه الإمام، وما خرّج على أصوله.

عرّفه العدويّ في حاشيته⁽⁴⁾ فقال: «الحكم الذي رآه واعتقده، وكذا يقال في رأي أصحابه»

ثم علّل إضافة أقوال أصحابه؛ بأنّها خرّجت على قواعده، فقال: «وجه كون رأي أصحابه

طريقته؛ أنّه لما كان مبنياً على قواعده، صحّ أن يجعل طريقة له»

فعلى هذا تكون كلّ الأقوال المبنية على أصول الإمام مالك، مضافة إلى مذهبه رغم أنّه لم

يصرّح بها، فيصير مفهوم المذهب أوسع من سابقه.

الثالث: قصر إطلاقه على ما به الفتوى.

وقد شاع هذا الإطلاق عند المتأخّرين، قال عنه الخطّاب: «ويطلق عند المتأخّرين من أئمّة

المذاهب على ما به الفتوى، من باب إطلاق الشيء على جزئه الأهم»⁽⁵⁾

وقال النّفراويّ: «وقد يطلق لفظ المذهب على ما به الفتوى، فيكون من إطلاق الشيء على

جزئه الأعظم»⁽⁶⁾

(1) مواهب الجليل: الخطّاب. 24/1.

(2) الفواكه الدواني: النّفراوي. 41/1.

(3) حاشية العدوي: العدوي. 40/1.

(4) المصدر نفسه: 40/1.

(5) مواهب الجليل: 24/1.

(6) الفواكه الدواني: 41/1.

فيصير مفهوم المذهب بهذا الإطلاق أضيق من سابقه.

أما سبب انتشار هذا الإطلاق، فهو سريان التقليد وتجذره؛ لأنّ المقلد لا يهّمه من الأقوال المذهبية سوى ما به الفتوى.⁽¹⁾

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

وجه المناسبة بين المنقول عنه والمنقول إليه، أنّ تلك المسائل تشبه الطريق، ولذا يعبر عنها فيقال: طريق مالك وطريقته، كما يقال مذهب مالك، ويكون على هذا منقولاً عن اسم المكان.⁽²⁾ ثم صار عند الفقهاء حقيقة عرفية فيما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية استنتاجاً واستنباطاً.

قال عlish: «مذهب: مفعّل صالح لحدث الذهاب ومكانه وزمانه، نُقل من الحدث للأحكام لوقوعه عليها، أو من مكانه

لها للمشابهة في المكانية؛ إذ هي مكان لذهاب العقل، ثم صار حقيقة عرفية فيها.⁽³⁾

المطلب الثالث: دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط.

كان أهل المغرب عموماً في صدر الإسلام على مذهب السلف؛ حتى حدثت فيهم بدعة الخارجية في أول المائة الثانية، ثم اضمحلت وتلاشت في أواخرها على يد العباسيين، فأخذ الناس بالمذهب الحنفي الذي كان-يومئذ- المذهب الرسمي للعباسيين.⁽⁴⁾

معلوم أنّ الفتح العربي الإسلامي كان مصحوباً بتعليم الناس أمر دينهم، وقد دخل جمع كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إفريقية، مثل: عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو،

(1) مواهب الجليل: 24/1.

(2) إتحاف المتنوع (نور البصر): السجل الماسي. 7.

(3) منح الجليل: عlish. 19/1.

(4) الاستقصا: السلاوي. 192/1-193.

عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير، عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، معاوية بن حديج، أبو زمعة البلوي، (كان ممن بايع تحت الشجرة) مات بإفريقية، وقبره بالبلوية، وبه سُميت البلوية.⁽¹⁾ ثم تلاهم التابعون مثل: معبد أخو عبد الله بن العباس، عاصم بن عمر بن الخطاب، مروان بن الحكم، عقبة بن نافع الفهري (مرتين واستشهد بها) عبد الملك بن مروان، عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عبيد الله بن عمر بن الخطاب، يزيد بن خالد القيسي (أسرته الكاهنة لما هزمت حسان بن النعمان) سليمان بن يسار (فقيه أهل المدينة)؛ وفي خلافة عمر بن عبد العزيز، أرسل عشرة من التابعين لتفقيه أهل إفريقية، منهم: موهب بن حيّ المعافري، والذي أقام بإفريقية حتى توفي بها، وحبان بن أبي جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي، وإسماعيل بن عبيد مولى الأنصار (تاجر الله)، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وقد كان ولي قضاء إفريقية وعبد الله بن يزيد، الذي مات بإفريقية وله بها مسجد.⁽²⁾

ثم بدأ أهل المغرب في أخذ العلم عن أبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الله العمري ومحمد بن الحسن وغيرهم، فاشتهر منهم الكثير، مثل: عليّ بن زياد ت: 183هـ (أول من أدخل الموطأ لإفريقية) عبد الله بن فروخ ت: 176هـ، عبد الرحيم بن أشرس، أسد بن الفرات، (الذي يعتبر أول من جمع مذهب أبي حنيفة ومالك)⁽³⁾

عمل أهل المغرب بمذهب أبي حنيفة قريباً من الأربعة قرون.

قال القاضي عياض: «وظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية ظهوراً كثيراً إلى قريب من أربعمئة عام، فانقطع منها ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديماً بجزيرة الأندلس وبمدينة فاس»⁽⁴⁾

(1) طبقات علماء إفريقية: أبو العرب. 16-17.

(2) المصدر نفسه: 18-19.

(3) المصدر نفسه: 36-43.

(4) ترتيب المدارك: عياض. 1/65.

ولم يبق المذهب الحنفيّ وحيداً؛ بل دخل عليه المذهب المالكيّ، فتعايشا فترة من الزمن، ثمّ سيطر عليه المذهب المالكيّ حيث بدأ التحوّل نحوه، وكان لسحنون بن سعيد-راوي المدوّنة- وتلامذته دور كبير في ذلك؛ حيث كتب المدوّنة ودرّسها للناس وتولّى القضاء، فاشتهر أمره وذاع صيته، فكثّر طلابه وانتشروا في الآفاق البعيدة والقريبة، فانتشر المذهب في المغرب الأدنى، ثمّ دخل المغرب الأوسط، ثمّ الأقصى ثمّ عبر للأندلس.

قال صاحب الاستقصا: «ظهر المذهب المالكيّ بالمغرب الأدنى ظهوراً بيّناً قبل المغرب الأقصى بكثير، وذلك على يد أسد بن الفرات، وعبد السّلام بن سعيد التّنوخيّ المعروف بسحنون وغيرهما من أئمة أهل المغرب»⁽¹⁾

ولمّا كانت المنطقة الشّرقية للجزائر محاذية للمغرب الأدنى؛ بدأ المذهب المالكيّ الدّخول إلى هذه البلاد عبر هذه البوابة؛ لكنّ المتتبع لكتب التّراجم، يلاحظ غياب ترجمة للطّبعة الأولى من المالكيّة الجزائريّين، وهم التّلامذة المباشرين للأخذ عن مالك، وكذا غياب الطّبعة الثّانية، وهم الذين أخذوا عن هؤلاء التّلامذة المباشرين للأخذ عن الإمام مالك، مثل: سحنون بن سعيد التّنوخي وطبقته.

أمّا الآخذين عن طبقة سحنون وأصحابه، فسجّلت كتب التّراجم الكثير منهم؛ حيث اهتمّ هؤلاء بإدخال المذهب المالكيّ إلى بلدهم بداية من الشّرق الجزائريّ، وتعدّ هذه الطّبعة من أهل القرن الثّالث، ثمّ توالى هذا التّسجيل في كتب التّراجم إلى غاية القرن الرّابع عشر.

شهد القرن الثّالث كثيراً من فقهاء المالكيّة الذين أدخلوا المدوّنة إلى المغرب الأوسط، عثرت-وأنا أبحث في هذا الموضوع- على ستّة منهم، ترجمت لهم كتب التّراجم، من أشهرهم:

1-إسحاق بن أبي عبد الله عبد الملك المشونى الذي كان حياً سنة:226هـ/ 841م أصله من قرية مَلْشُونْ إحدى قرى بسكرة الجزائرية، تعلّم بها وبالقيروان، وجالس الإمام سحنون وأخذ كلّ

(1) الاستقصا: 194/1.

منهما عن صاحبه، كان هو وأبوه عالمان يُحمل عنهما العلم، وكان إسحاق هذا نديماً لمحمد بن الأغلب (206-242هـ) سادس ملوك الدولة الأغلبية بإفريقية.⁽¹⁾

2- يحيى بن خالد السهمي (الطنبلي، أبو حاتم) (...-245هـ/...-859م) من فقهاء المالكية، من أهل طنبنة (بأرض الزّاب) بها نشأ وتعلّم، نسبه في قریش صحيح، من أوائل الذين أدخلوا ورسّخوا مذهب مالك في الجهة الشرقية للمغرب الأوسط، ولآه الإمام سحنون قضاء الزّاب، من شيوخه: عثمان بن صالح، الإمام سحنون بن سعيد التّنوخي، من تلامذته: أخوه العباس وابنه أحمد، وعبد الرحمن بن محمد القسطلاني.⁽²⁾

3- بكر بن حماد بن سهل (وقيل: صالح، وقيل: سهر، وقيل: سمك) التاهرتي: (200-296هـ/815-908م) من شعراء الطبقة الأولى في عصره، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، ولد بتيهت (عاصمة الدولة الرّستمية) بالمغرب الأوسط، رحل وهو حدث السّن إلى البصرة سنة: 217هـ، اتّصل بالخليفة المعتصم بالله ومدحه، عاد إلى إفريقية قبل سنة: 239هـ، من شيوخه: ابن مسدد الأسدي عمرو بن مرزوق، بشر بن حجر، عون بن يوسف الخزاعي، محمد بن معاوية الحضرمي، سحنون بالقيروان، ثمّ علّم بجامعها الكبير، من تلامذته أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، محمد بن صالح المعافري، قاسم بن أصبغ القرطبي، وفي سنة: 295هـ عاد إلى تيهت ومعه ولده عبد الرحمن، فاعترضه لصوص جرحوه وقتلوا ولده، وتوفي هو بعد سنة من عودته، أي سنة: 296هـ، في قلعة ابن حمة شمال تيهت، وهو ابن ستّ وتسعين سنة، وهي نفس السّنة التي سقطت فيها الدولة الرّستمية بيد العبيديّين؛ من مؤلفاته: ديوان شعر كبير له أبيات مشهورة في معارضة مدح عمران بن حطان (الخارجي) لابن ملجّم على قتله لعلّي رضي الله عنه.⁽³⁾

(1) معجم البلدان: الحموي. 192/5؛ طبقات علماء إفريقية: 98/1؛ معجم أعلام الجزائر: 314.

(2) طبقات علماء إفريقية: 120/1-121؛ الإكمال في رفع الارياب: بن مأكولا. 263/5.

(3) الأعلام: الزركلي. 63/2؛ ترتيب المدارك: 301/3-323؛ تاريخ الجزائر: 80/2-81.

أدخل هؤلاء الفقهاء المدونة إلى المغرب الأوسط -الجزائر-، ثم دخلت بعد ذلك إلى فاس على يد أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي، الذي اشتهر به مذهب مالك هنالك، وبها توفي سنة: 357هـ.⁽¹⁾

هكذا كانت بداية دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط من الجهة الشرقية المحاذية للمغرب الأدنى الذي يعتبر المكان الأوّل -في الغرب الإسلامي- الذي وصلت إليه الفتوحات الإسلامية، والمكان الأوّل أيضاً الذي دخله المذهب المالكي، ثم استمرّ انتشار المذهب في بقية جهات المغرب الأوسط عبر القرون المتتالية.

المبحث الثاني: بعض مظاهر انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط (من القرن الرابع إلى

الرابع عشر)

عُرف الجزائريون بطلب العلم منذ القدم مثل سائر أهل المغرب، وها هي كتب التراجم شاهدة على ذلك، قال المؤرخ الحفناوي: «فالظاهر أنّ القطر الجزائري قد اجتهد قديماً في طلب العلم بجميع أسبابه، وأتاه من سائر أبوابه، ووقف على معقوله ومنقوله؛ فتمكّن من أصوله وفصوله، وكان لعلوم وقته جامعاً، ولرايتها رافعاً، مثل أخويه المغربين الأقصى والأدنى... هذه أسماؤهم وتراجمهم مزاحمة لأسماء وتراجم أعيان الزّمان في كتب المتّقِظين لحفظ الطبقات العليا من عالم الإسلام في بطون الدفاتر... هذه تأليفهم ثراً ونظماً، منتفع بها في المغرب والمشرق تعلّماً وتعليماً، مشتهرة فيها اشتهار مؤلفيها عند كلّ طالب علم وفي كلّ كتاب»⁽²⁾

ومن ضمن العلوم التي اختصّ فيها أهل المغرب الأوسط: الفقه المالكي، الذي يتجلّى انتشاره عندهم من خلال كثرة فقهاءه وتوليهم لوظائف علمية كثيرة (القضاء الإفتاء التدريس) وتأليفهم لعدد كبير من المؤلفات، وقد سجّلت كتب التراجم الكثير من تراجم هؤلاء الفقهاء، ابتداء من القرن الرابع

(1) شجرة النور: مخلوف. 153/1-154.

(2) تعريف الخلف برجال السلف: الحفناوي. 1/1-2.

إلى القرن الرابع عشر، وقد وقفت على ترجمة عدد كبير منهم عبر هذه القرون؛ لكن حجم هذا المقال لا يسع لذكرهم جميعاً؛ فاكثفت بذكر عدد الذين عثرت عليهم في كتب التراجم في كل قرن، مع الاكتفاء بترجمة قصيرة لبعض منهم حيث تعتبر هذه الترجمة إبرازاً لبعض مظاهر انتشار المذهب؛ لأنها ستُعرِّج على ذكر البلد والزمن الذي عاش فيه كل فقيه، وبعض من شيوخه وتلامذته، ووظائفه العلمية، ومؤلفاته، وغير ذلك مما يعتبر مظهراً من المظاهر الشاهدة على انتشار هذا المذهب في هذا البلد وقد قسّمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، تعرّضت في المطلب الأول: لترجمة بعض الفقهاء من القرن الرابع إلى غاية السابع، وفي المطلب الثاني: لترجمة بعض الفقهاء من القرن الثامن إلى العاشر، وفي المطلب الثالث: لترجمة بعض الفقهاء من القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر.

المطلب الأول: بعض مظاهر انتشار المذهب المالكي (من خلال الترجمة لبعض الفقهاء من القرن

الرابع إلى السابع)

ضبطت ترجمة لتسعة من الفقهاء في القرن الرابع، يشهد محتوى ترجمتهم لانتشار المذهب في

عصرهم، كان من أشهرهم:

1- إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي (...-387هـ/...-997م) فقيه من أهل تنس، انتقل إلى

الأندلس، من شيوخه: وهب بن مسرة، أبو علي القالي، ثم صار مفتياً في جامع الزهراء.⁽¹⁾

2- عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الوهراني (التجاني، ابن الخراز) (...-400هـ/...-1009م)

عالم بالحديث ورجاله من كبار الفقهاء، من شيوخه: ابن مرد، ابن شبويه، أبو بكر الأبهري،

أبو يعلى البصري، أبو عبد الله بن عطية، أبو بكر القطيعي الحرمي، أبو العباس، ابن أبي العرب؛ من

تلامذته: حاتم الطرابلسي، محمد بن غلبون الخولاني، ابن عبد البر، ابن حزم؛ من مؤلفاته رسالة في

سيرة شيخه أبي بكر الأبهري، اعتمد عليها مترجموه.⁽²⁾

(1) بغية الملتبس: بن عميرة. 219؛ تبصير المنتبه: ابن حجر. 152/1؛ معجم البلدان: 48/2؛ معجم أعلام الجزائر: 84.

(2) ترتيب المدارك: 218/7-219؛ جذوة المقتبس: بن فوطح. 275؛ بغية الملتبس: 366؛ الإكمال: 308/7.

3- أحمد بن عليّ بن أحمد بن محمد الرّبيعي الباغائي (345-401هـ/ 956-1011م) من كبار علماء المالكية من أهل باغاية (بين مجانة وقسنطينة)، من شيوخه: أبو بكر الأدفويّ، عبد المنعم بن غلبون، من تلامذته: ابن عتّاب، دخل الأندلس سنة 376هـ وأقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة، واشتغل مؤدّباً ومستشاراً؛ من مؤلفاته: أحكام القرآن.⁽¹⁾

4- أحمد بن نصر الداودي الأسدي (أبو جعفر) (...-402هـ/...-1011م) من أئمة المالكية، أصله من المسيلة وقيل: من بسكرة، استقرّ بتلمسان، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور؛ من مؤلفاته: التّامي (شرح للموطأ)، الواعي في الفقه، النصيحة شرح لصحيح البخاري (هو أول من شرحه)، كتاب الأصول، كتاب البيان، كتاب الأموال؛ من تلامذته: أبو عبد الله البوني، أبو بكر بن أبي محمد بن أبي زيد، أبو عليّ بن الوفاء.⁽²⁾

أمّا في القرن الخامس، فعثرت على ترجمة اثني عشر فقيهاً، كان من أشهرهم:

1- عبد الله بن يوسف بن طلحة الوهراني (أبو محمد) (...-429هـ/...-1037م) محدّث فقيه مالكي، له مشاركة في علمي الحساب والطّب؛ من شيوخه: أبو محمد بن أبي زيد ونظراؤه، من تلامذته: ابن خزرج.⁽³⁾

2- حسين بن محمد بن سلمون المسيلي (...-431هـ/...-1040م) فقيه مالكي مشارك في بعض العلوم، رحل إلى الأندلس فولّاه سليمان بن حكم الشّورى بقرطبة.⁽⁴⁾

(1) تاريخ الإسلام: الذهبي. 25/9؛ معجم البلدان: 325/1؛ هدية العارفين: البغدادي. 71/1؛ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: بن بشكوال. 87.

(2) ترتيب المدارك: 102/7-103؛ شجرة النور: 164/1؛ معجم المؤلفين: كحالة. 194/2.

(3) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: 287؛ معجم أعلام الجزائر: 249.

(4) الصلة: 145؛ معجم أعلام الجزائر: 300.

3- مروان بن عليّ الأسدي القطان البوني (.../439هـ - ..1047م) فقيه مفسر حافظ، أندلسي الأصل، نشأ ببونة رحل إلى قرطبة والمشرق ثم عاد إلى عتابة، فعكف على التدريس والتأليف؛ من شيوخه: أبو محمد الأصيلي، أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس، أبو الحسن القابسي، أحمد بن نصر الداودي؛ من تلامذته: حاتم بن محمد، أبو عمر بن الحذاء؛ من مؤلفاته: مختصر في تفسير الموطأ.⁽¹⁾

4- يوسف بن محمد بن يوسف التلمساني (ابن التحوي) (433-513هـ / 1041-1119م) مجتهد نحوي ناظم فقيه يميل للاجتهاد، أصله من توزر بتونس، دخل سجلماسة وفاس، ثم عاد إلى المغرب الأوسط وسكن قلعة بني حماد قرب بجاية، اعتُبر كالمغزالي في العراق علماً وعملاً، من مؤلفاته: المنفرجة التي مطلعها: «اشتدي أزمة تنفرجي» وقد شرحها كثيرون.⁽²⁾

أما في القرن السادس فعثرت على ثلاثين فقيهاً مترجماً له، كان من أشهرهم:

1- حسن بن إبراهيم بن عبد الله (ابن زكون) (484-553هـ / 1091-1158م) حافظ، من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، تعلّم بها وبفاس، ودخل الأندلس فسمع بقرطبة ومرسية؛ من مؤلفاته: كتاب في الرأي.⁽³⁾

2- محمد بن عليّ بن جعفر القيسي (ابن الرمامة) (478-567هـ / 1085-1171م) فقيه من القضاة، ولد بقلعة بني حماد؛ من شيوخه: أبو الفضل بن التحوي، إبراهيم بن حماد وخاله أبو الحسين، عليّ بن طاهر محشوة، أبو محمد بن عتاب، أبو الوليد بن رشد، ولي قضاء فاس وحدث بها ودرّس؛ من تلامذته: أبو ذرّ الحشني، أبو القاسم بن بقي، أبو الحسن بن الفضل؛ من مؤلفاته تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، التفصي عن فوائد التقصي، التبيين في شرح التلقين.⁽⁴⁾

(1) تاريخ الإسلام: 602/9؛ الصلة: 582-581.

(2) الأعلام للزركلي: 248-247/8؛ معجم المؤلفين: 334/13؛ هدية العارفين: 551/2.

(3) معجم المؤلفين: 195/3؛ معجم أعلام الجزائر: 159.

(4) التكملة لكتاب الصلة: 158/2؛ معجم المؤلفين: 313/10؛ الذيل والتكملة: المراكشي. 217/5.

3- عليّ بن أبي القاسم بن عبد الرحمن (ابن أبي جنون التلمساني) (...-577هـ /...-1162م) من فقهاء المالكية مشارك في كثير من العلوم، دخل الأندلس؛ من شيوخه: أبو عليّ الصديقي، ابن أبي تليد، الخولانيّ، ولي القضاء بمراكش وتلمسان، له تواليف كثيرة أجّلها: المختضب الأشفي في اختصار المستصفي⁽¹⁾.

4- حسن بن عليّ بن محمد المسيلي (...-580هـ /...-1185م) فقيه مالكي، حافظ، متكلم، من القضاة، نشأ بجاية، من أصحاب الوليّ الزاهد الشيخ أبي مدين التلمساني، من مؤلفاته: التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات، التذكرة في أصول علم الدين، التبراس في الردّ على منكر القياس⁽²⁾.

وعثرت في القرن السابع على ثمانية وخمسين فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:

1- محمد بن عبد الحقّ بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني (526-625هـ / 1141-1228م) قاض فقيه مقرئ حافظ للحديث متكلم، دخل الأندلس؛ من مؤلفاته: المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار، غريب الموطأ، التسليّ عن الرزية، نظم العقود ورقم الحلل والبرود، الفيصل الحازم في فضيلة العلم والعالم، فرقان الفرقان وميزان القرآن⁽³⁾.

2- أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي الملياني (...-644هـ /...-1246م) فقيه مجتهد رحل إلى المشرق ولقي جماعة من الأعلام، وعاد وسكن بجاية وأقرأ بها؛ من مؤلفاته: تقييدات على كتاب التلقين للمازري⁽⁴⁾.

(1) التكملة لكتاب الصلاة: 246/3؛ تعريف الخلف: 253/2.

(2) الأعلام للزركلي: 203 / 2؛ معجم المؤلفين: 262/3.

(3) معجم المؤلفين: 128 / 10؛ تاريخ الإسلام: 802/13.

(4) عنوان الدراية: الغبريني. 188-189؛ نيل الابتهاج: التنبكي. 78؛ معجم أعلام الجزائر: 314.

3- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني (584 - 656هـ / 1188-1258م) من فقهاء المالكية، نشأ وتعلم بتلمسان، وأخذ عن مشيخة سبتة، ثم انتقل إلى الإسكندرية إلى أن مات بها؛ من مؤلفاته: شرح الجلاب⁽¹⁾.

4- إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام (أبو إسحاق التنسي) (670هـ / ..-1272م) عالم مالكي، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب؛ من شيوخه: ابن كحيلة، ناصر الدين المشذالي، الشمس الأصبهاني، القرافي، السياف الحنفي استقر بتلمسان ودرس بها؛ من تلامذته: ابن الحاج العبدري (صاحب المدخل)؛ من مؤلفاته: شرح التلقين في عشرة أسفار (قالوا: ضاع في حصار تلمسان)، تقييد على الإرشاد⁽²⁾.

المطلب الثاني: بعض مظاهر انتشار المذهب المالكي (من خلال الترجمة لبعض الفقهاء من القرن الثامن إلى العاشر)

عثر في القرن الثامن على ستين فقيهاً مترجماً له، يشهد محتوى ترجمتهم على انتشار المذهب في عصرهم، من أشهرهم:

1- منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي (ناصر الدين، أبو علي) (631-731هـ / 1234-1331م) من أكابر فقهاء المالكية، له مشاركة في علوم العربية والمنطق والجدل، نشأ وتعلم في بجاية، رحل إلى المشرق، من شيوخه: شمس الدين الأصبهاني شرف الدين بن السبكي، عز الدين بن عبد السلام، من مؤلفاته: شرح على رسالة بن أبي زيد⁽³⁾.

2- محمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني (أبو عبد الله) (759هـ / ..-1359م) باحث أديب من أكابر المالكية، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، وبتونس والمغرب والمشرق، تولى قضاء فاس ودرس في

(1) نيل الابتهاج: 380؛ معجم المؤلفين 8: 206.

(2) معجم المؤلفين: 128/1؛ نيل الابتهاج: 38؛ معجم أعلام الجزائر: 84.

(3) معجم المؤلفين: 10/13؛ نيل الابتهاج: 609؛ معجم أعلام الجزائر: 302-303.

المدرسة المتوكلية، توفي في فاس، ثم نقلت رفاتة إلى بلده، من تلامذته: لسان الدين بن الخطيب، عبد الرحمن بن خلدون، من مؤلفاته: كتاب القواعد، الطّرف والتحف، عمل من طبّ لمن حبّ، شرح لغة قصائد المغربي الخطيب، إقامة المريد، شرح التسهيل، النظائر.⁽¹⁾

3- محمد بن أحمد بن عليّ (أبو عبد الله الشريف التلمساني) (710هـ - 771هـ / 1310-1370م) أصله من العلويين (قرية من تلمسان) من أعيان المالكية وكبار باحثيهم، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب، من شيوخه: أولاد الإمام، الأبلي، ابن عبد السلام بنى له السّطان أبو هو بن يوسف مدرسة، من مؤلفاته: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، شرح جمل الخونجي في المنطق كتاب في القضاء والقدر، فتاوى في مسائل علمية مختلفة.⁽²⁾

4- محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (شمس الدين، الخطيب، الجدّ، الرئيس) (710هـ - 781هـ / 1311-1379م) من أكابر علماء المالكية في عصره، له مشاركة في فنون الأدب والدين والعلم، رحل إلى الحجاز والشّام ومصر، ثمّ رجع إلى بلده فتولّى خطابة مسجد العباد والسّفارة إلى ملوك الأندلس وإفريقية، ثمّ الخطابة في جامع الحمراء بغرناطة، ثم في جامع الموحد بتونس، ثمّ دخل القاهرة ليتولّى الوظائف العلمية إلى وفاته، حيث دفن بمقبرة القرافة الصّغرى؛ من مؤلفاته: عجلة المستوفز المستجاز، تيسير المرام، شرح الأحكام الصّغرى، شرح الشّفاء، إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، المسند الصّحيح الحسن من أخبار السّلطان أبي الحسن، كتاب الإمامة، إيضاح المرشد، شرح صحيح البخاري، كتاب في التنجيم، جني الجنتين في فضل اللّيلتين: القدر والمولد، الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء.⁽³⁾

أمّا في القرن التاسع فعثرت على مائة وخمسة عشر فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:

(1) الأعلام للزركلي: 37/7؛ معجم المؤلفين: 181/11؛ نيل الابتهاج: 427-428.

(2) معجم المؤلفين: 301/8؛ نيل الابتهاج: 730-731.

(3) معجم المؤلفين: 16/9؛ فهرس الفهارس: عبد الحي الكتاني. 521/1-522؛ هدية العارفين: 170/2.

1- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (أبو زيد) (786-875هـ / 1384-1470م) صوفي من كبار المفسرين وعلماء المغرب الأوسط وقضاة، وُلد ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، تعلّم في بجاية وتونس ومصر ودخل تركيا، ثم عاد إلى بلده؛ من مؤلفاته: له أكثر من تسعين كتاباً منها: الجواهر الحسان، روضة الأنوار ونزهة الأختيار في الفقه (فيه لباب من نحو ستين من أمّهات الدواوين المعتمدة، وهو خزانة كتب لمن حصّله)، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في القراءات، شرح على مختصر خليل، الأنوار المضيئة أربعون حديثاً، شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي، دفن بجبّانة الطلبة في مدينة الجزائر.⁽¹⁾

2- سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني (720-811هـ / 1360-1408م) العقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس، أصله منها، تجيبي النسب (نسبة لتجيب وهي قبيلة من كندة لهم خطة بمصر سميت باسمهم)، من أكابر فقهاء المالكية من شيوخه: ابني الإمام، الأبلي، ولي قضاء بجاية ثم تلمسان ووهران ومراكش وسلا، من مؤلفاته: شرح الخوفية في الفرائض، تفسير سورتي الأنعام والفتح، شرح البردة، شرح جمل الخونجي، شرح على ابن الحاجب الأصلي، شرح التلخيص لابن البناء، شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة.⁽²⁾

3- محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، العجيسي التلمساني (أبو عبد الله، الحفيد) (766-842هـ / 1364-1438م) فقيه حجة في المذهب المالكي، نحوي، عالم بالأصول، حافظ، مفسر، ناظم، ولد بتلمسان، من شيوخه: والده وعمّه، سعيد العقباني ابن خلدون، الفيروز آبادي، ابن حجر؛ من مؤلفاته: المفاتيح المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخرجية في العروض والقوافي إسماع الصمّ في إثبات الشرف من جهة الأمّ، المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطية، الروضة (رجز في علم

(1) الأعلام للزركلي: 3/331؛ شجرة النور: 1/382؛ معجم المؤلفين: 5/192؛ نيل الابتهاج: 257.

(2) الأعلام للزركلي: 3/101؛ شجرة النور: 1/360؛ نيل الابتهاج: 189-190؛ معجم البلدان: 2/16.

(الحديث)، المقنع الشافى (أرجوزة في الميقات في 1700 بيت)، أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية، أرجوزة اختصر بها ألفية ابن مالك، اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة في الفقه والتفسير، الدليل الموفى في ترجيح طهارة الكاغد الرومى، النصح الخالص في الرد على المدعى رتبة الكمال للتأقص، مختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبد البر التونسي، أنوار الدراري في مكررات البخاري، شرح على ابن الحاجب، روضة الأريب في شرح التهذيب، المنزع التبيل في شرح مختصر خليل، إيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك، المتجر الربيع (شرح صحيح البخاري).⁽¹⁾

4- إبراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد، الزاوي (أبو إسحاق) (796-857هـ/ 1394-1453م) مفسر، من كبار علماء المالكية، ولد في جبل جرجرة، وتعلم في بجاية وتونس وقسنطينة، ثم استقر بها، من مؤلفاته: تفسير القرآن، شرح ألفية ابن مالك، تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل، فيض النيل في شرح مختصر خليل، تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل أيضاً.⁽²⁾

-أما في القرن العاشر، فعثرت على اثنين وأربعين فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:

1- أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، التلمساني (أبو العباس) (834-914هـ/ 1430-1509م) فقيه مالكي كبير، من شيوخه: ابن مرزوق الكفيف، أبو الفضل قاسم العقباني، فر إلى فاس فكان عالمها ومدرّسها ومفتيها، من مؤلفاته: المعيار المغرب، غنية المعاصر، نوازل المعيار، إضاءة الحلل، الفروق في مسائل الفقه، إيضاح المسالك، المنهج الفائق، القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب، الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية.⁽³⁾

(1) فهرس الفهارس: 524/1؛ نيل الابتهاج: 499-500؛ هدية العارفين: 191/2-192.

(2) الأعلام للزركلي: 57؛ شجرة النور: 378/1؛ معجم المؤلفين: 73/1؛ نيل الابتهاج: 56.

(3) فهرس الفهارس: 112/2؛ معجم المؤلفين: 205/2؛ نيل الابتهاج: 135-136.

2- محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التلمساني (أبو عبد الله) (921-..هـ/1515م) عالم مالكي من أهل تلمسان، من مؤلفاته: المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا.⁽¹⁾

3- أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى (ابن حيدة أو جیده أو حرة المديوني الوهراني) (..هـ-951م) فقيه مالكي صوفي، من شيوخه: محمد بن يوسف السنوسي، الكفيف ابن مرزوق، إبراهيم التازي، محمد بن موسى تلميذ السنوسي، أسند إليه كرتي ابن غازي في القرويين، من تلامذته: أبو العباس المنجور.⁽²⁾

4- عبد الرحمن بن محمد الأخضر (918هـ-983هـ/1512-1575م) أديب منطقي، له مشاركة في بعض العلوم من أهل بسكرة، من مؤلفاته: الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون في المعاني والبيان والبديع، شرح الجوهر، السلم المرونق (أرجوزة في علم المنطق)، شرح السلم، الدرة البيضاء وشرحها شرح السراج في علم الفلك، الأصل (قصيدة لسحنون الونشريسي)، المنظومة القدسية مختصر الأخضر في العبادات على مذهب الإمام مالك، رسالة في التحذير من البدع.⁽³⁾

المطلب الثالث: بعض مظاهر انتشار المذهب المالكي (من خلال الترجمة لبعض الفقهاء من القرن: 11 إلى 14)

عثر في القرن الحادي عشر على إحدى وعشرين فقيهاً مترجماً له، يشهد محتوى ترجمتهم على انتشار المذهب في عصرهم من أشهرهم:

1- محمد بن محمد بن أحمد الملقب نسباً المديوني أصلاً، (ابن مريم) (..هـ-1025م) حياً-1611م) مؤرخ بجاث مشارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها، من مؤلفاته: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، غنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد، فتح العلم

(1) الأعلام للزركلي: 289/6؛ معجم المؤلفين: 15/11؛ كشف الظنون: حاجي خليفة، 2/1054.

(2) شجرة النور: 402/1؛ نيل الابتهاج: 140.

(3) الأعلام للزركلي: 331/3؛ معجم المطبوعات: سركيس. 2/406-407.

لشرح التصح التّام للخاصّ والعامّ لإبراهيم التّازي، كشف اللبس والتّعقيد عن عقيدة أهل التّوحيد، التعليقة السّنية على الأرجوزة القرطبيّة، تعليق على رسالة خليل في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها، شرح المرادية للتّازي، كتاب في الحديث النبويّ وحكايات الصّالحين.⁽¹⁾

2- أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحيى المقرّي التلمساني (أبو العباس) (986-1041هـ/ 1578-1631م) مؤرّخ أديب، آية في علم الكلام والتّفسير والحديث، ولد ونشأ بتلمسان، من شيوخه: عمّه سعيد المقرّي، حضر مجلس عليّ بن عمران السلاسي في القرويّين وناقشه في بعض مسائل الفقه، فاعترف له السلاسي بالتّفوق عليه، ثم انتقل إلى مراكش ثم عاد إلى فاس ثم تلمسان، ثم عاد إلى فاس لتسند إليه الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويّين، سافر إلى الحجاز وأملى بها دروساً عديدة، توفي بالقاهرة ودفن بمقبرة المجاورين، من مؤلفاته: نفع الطّيب، روضة الآس العاطرة، أزهار الرّياض، التفحات العنبرية، إضاءة الدّجنة، حاشية على شرح أمّ البراهين، إعراب القرآن، القواعد السّريّة في حلّ مشكلات الشّجرة التّعمانيّة، تاريخ الأندلس، قطف المعتصر من أفنان المختصر، شرح مقدّمة ابن خلدون، أنواء نيسان في أنباء تلمسان.⁽²⁾

3- عيسى بن محمّد بن محمّد بن عامر الجعفريّ (نسبة إلى جعفر بن أبي طالب) الثّعالبي (جار الله أبو المهدي) (1020-1080هـ/ 1611-1669م) محدّث، من أكابر فقهاء المالكية، أصله من ناحية وادي يسر (وطن الثّعالبة) بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، ولد ونشأ في زواوة ثم انتقل إلى العاصمة، رحل إلى بلدان كثيرة، مات بمكّة، من شيوخه: سعيد قدورة، أحمد الخفاجي، من مؤلفاته: كنز الرّواة

(1) الأعلام: 7/ 61؛ معجم المؤلّفين: 11/ 189؛ معجم المطبوعات: 1/ 236.

(2) الأعلام للزركلي: 1/ 237؛ معجم المؤلّفين: 2/ 78؛ خلاصة الأثر: الدمشقي. 1/ 302-303، معجم المطبوعات: 2/ 1776 - 1777.

المجموع، رسالة في مضاعفة ثواب هذه الأمة، تحفة الأكياس، مشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار، منتخب الأسانيد (ذكر فيه شيوخه المالكيين وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة).⁽¹⁾
-أما في القرن الثاني عشر، فعثرت على تسعة وثلاثين فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:

1- **مصطفى** (وقيل: محمد) بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي (وقيل الرماحي) (..-1136هـ/..-1724م) من فقهاء المالكية، من أهل رماصة إحدى قرى مستغانم، تعلّم بمازونة، ثم بالقاهرة، وصفه عبد الرحمن الجامعي الفاسي ب: «حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره» من مؤلفاته: كفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد، حاشية على شرح شمس الدين عامر العدواني على متن خليل في الفقه المالكي.⁽²⁾

2- **أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني**، (أبو العباس) (1063-1139هـ/1652-1726م) فقيه مالكي، محدث، ولد ببونة المعروفة بعنابة شرقي الجزائر، رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى الجزائر، من شيوخه: عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، يحيى بن محمد الشاوي الملياني، من تلامذته: عبد القادر الراشدي القسنطيني، من مؤلفاته: فتح الأغلاق على وجوه مسائل خليل، فتح الباري في شرح غريب البخاري، الإلهام والانتباه، الثمار المعتصرة في مناقب العشرة، الظلّ الوريث في الحث على العلم الشريف، إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن، إعلام القوم بفضائل الصوم، النور الضاوي على عقيدة الطحاوي، فتح المعيد، المعارف الإنسية، الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي، التفحات الصنبرية في نظم السيرة الطبرية، إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة (في الطب) نظم الشمائل للترمذي، نظم أخلاق الصوفية التي حواها كتاب تنبيه المغترين للشعراني، الدرّة المكنونة في علماء بونة، نظم عقيدة ابن الحاجب.⁽³⁾

(1) الأعلام للزركلي: 108/5؛ معجم المؤلفين: 33/8؛ خلاصة الأثر: 240/3 - 243؛ هدية العارفين: 811/1.

(2) شجرة النور: 482/1؛ هدية العارفين: 311/2؛ معجم المؤلفين: 247/10.

(3) شجرة النور: 475/1-476؛ الأعلام: 199/1؛ معجم المؤلفين: 49/2.

3- عبد القادر بن محمد الراشدي (...-نحو 1194هـ /...-1780م) فقيه مالكي، أصله من الرّواشد (مدشر من مداشر فرجية) تولى القضاء والفتيا بقسنطينة مراراً، ومال إلى الاجتهاد، فسبّب له متاعب وأخرج من القضاء، من مؤلفاته: كتاب في عائلات قسنطينة، رسالة في تحريم الدّخان، رسالة في وزن الأعمال، حاشية على شرح السيّد للمواقف العضدية، فتاوى.⁽¹⁾

وفي القرن الثالث عشر، عثرت على خمسة وستين فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:

1- محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي العسكري، (أبوراس) (1150-1238هـ / 1737-1824م) مؤرّخ حافظ له مشاركة في الفقه والأدب والحديث، مولده ووفاته في معسكر، من مؤلفاته: تخريج أحاديث دلائل الخيرات شرح المقامات الحريية، مروج الذهب، ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، درّ السّحابة، تفسير القرآن، الخير المعلوم في كلّ من اخترع نوعاً من أنواع العلوم، حاشية على المكودي، شرح الشّمقمقية، حاشية على الخرشي، الحاوي الجامع بين التوحيد والتّصوف والفتاوى.⁽²⁾

2- مصطفى العجمي (...-نحو 1240هـ /...-نحو 1824م) باحث من فقهاء المالكية، نشأ بقسنطينة وولي الإمامة بجامع سوق الغزل إلى وفاته، من مؤلفاته: تكملة شرح السّنهوري على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي.⁽³⁾

3- عمّار الراشدي (الغربي، أبو راشد) (...-1251هـ /...-1835م) أديب شاعر فقيه، عارف في العلوم الثّقليّة والعقليّة، من أهل قسنطينة، ولي الإفتاء بها، والتّدريس بمدرسة سيدي الكتّاني، من مؤلفاته: حاشية على شرح الشّبرخيتي.⁽⁴⁾

(1) الأعلام: 38/4؛ معجم المؤلفين: 5/ 288.

(2) الأعلام: 18/6؛ فهرس الفهارس: 150/1 - 151؛ معجم المؤلفين: 277/8 - 278.

(3) معجم المؤلفين: 264/12؛ معجم أعلام الجزائر: 229.

(4) الأعلام: 36/5؛ معجم المؤلفين: 268/7.

- 4- صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم السّمعوني الجزائري (1240-1285هـ/ 1824-1868م) فقيه مالكي أديب، وُلد في وغيليس وبها نشأ وتعلّم، هاجر إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي ونفي الأمير عبد القادر إلى طولون، فاستوطن دمشق وأخذ عن علمائها وتوفي فيها، من مؤلفاته: رسالة في اختلاف المذاهب، كتاب في التاريخ وصل فيه إلى سنة: 1280هـ، منظومة في الفقه المالكي، شرح المنظومة (السابقة) ثم حاشية على هذا الشرح، رسائل في علم الميقات.⁽¹⁾
- أمّا في القرن الرابع عشر، فعثرت على واحد وثلاثين فقيهاً مترجماً له، من أشهرهم:
- 1- محمد بن عبد الرحمن الديسي (1270-1340هـ/ 1854-1922م) مقررء نحويّ متكلم أصولي فقيه مالكيّ، ولد في قرية الدّيس بالصّحراء في جنوب الجزائر، تعلّم في بلده، ثمّ انتقل إلى زاوية الهامل وأخذ عن مؤسّسها، ونبغ في العلوم الشرعيّة والعربيّة، ولي التدريس في معهد الزاوية إلى أن توفي، من مؤلفاته: فوز الغائم، الزهرة المقتطفة، القهوة المرتشفة، درّة عقد الجيد، سلّم الوصول إلى علم الأصول، مقامة المناظر بين العلم والجهل، شرح أرجوزة التّوحيد.⁽²⁾
- 2- عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس: (1308-1359هـ/ 1889-1940م) من كبار رجال الإصلاح والتّجديد في الإسلام، رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، ولد بقسنطينة وتعلّم بها ثمّ في جامع الزيتونة، عاد إلى بلده فدرّس بالجامع الكبير، رحل إلى المشرق وحجّ، ثمّ عاد ليعلّم، أصدر مجلّات وصحف منها: المتقذ، الشّهاب، الشّريعة، السّنة المحمّديّة الصّراط، من مؤلفاته: مجالس التّذكير في التّفسير، العقائد الإسلاميّة، جواب سؤال عن سوء مقال.⁽³⁾
- هكذا يتجلّى للنّاظر انتشار المذهب المالكيّ عبر هذه القرون في أنحاء المغرب الأوسط من خلال الفقهاء ومؤلفاتهم وتلامذتهم ووظائفهم العلميّة.

(1) الأعلام: 189/3؛ معجم المؤلفين: 3/5.

(2) معجم المؤلفين: 133/10؛ هدية العارفين: 399/2.

(3) الأعلام: 289/3؛ معجم المؤلفين: 105/5؛ معجم أعلام الجزائر: 28-29.

خاتمة: بعد هذه الجولة القصيرة بين كتب التراجم، يمكن القول بأن المذهب المالكي دخل إلى أرض المغرب الأوسط في القرن الثالث من البوابة الشرقية، ثم بدأ في الانتشار، وقد عثرت -وأنا بصدد جمع هذه المادة العلمية- على ما يؤكد ذلك؛ حيث ترجمت كتب التراجم لعدد كبير من الفقهاء الذين تولوا وظائف علمية بارزة مثل: القضاء وتقديم الاستشارة والإفتاء والتدريس والتأليف في فنون كثيرة، والتي كان من ضمنها الفقه المالكي، مما يؤهل هذا الموضوع ليكون مشروع كتاب يجمع ترجمة لفقهاء المغرب الأوسط عبر القرون ويعرف بمجهوداتهم العلمية، وبالخصوص مؤلفاتهم؛ لينهض المحققون بالبحث عنها ثم تحقيقها؛ لتتسنى الاستفادة منها، ولا تضيع هذه الجهود المبذولة، وللعلم أن ترجمة هؤلاء الفقهاء مبعثرة في كتب التراجم، وغير مرتبة في بعضها عبر تسلسل القرون، مما يصعب الوصول إليها، وغالبية مؤلفاتهم في حكم الضياع، فهي إما مفقودة، أو مكدسة في المكتبات العامة أو الخزائن الخاصة، والقليل منها خارج عن هذا الحكم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إتخاف المقنع بالقليل في شرح مختصر خليل (نور البصر): الهاللي أبو العباس السجلماسي، طبعة حجرية، دون مكان ورقم سنة الطبع.
- 2- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف: بن مأكولا، علي بن هبة الله، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1411هـ-1990م.
- 3- الأعلام: الزركلي خير الدين بن محمود، الدمشقي، دار العلم للملايين، دون مكان الطبع، ط15، 2002م.
- 4- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، ت: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1983م.
- 5- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: بن عميرة أحمد بن يحيى بن أحمد، دار الكاتب العربي، القاهرة، دون رقم الطبع، 1967م.
- 6- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد المليي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون رقم الطبع، 1406هـ-1986م.
- 7- ترتيب المدارك وتقريب المسالك: عياض بن موسى اليحصبي، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرون، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، دون سنة الطبع.
- 8- تعريف الخلف برجال السلف: الحفناوي أبو القاسم محمد، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دون رقم الطبع، 1991م.
- 9- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، ت: محمد علي التجار، المكتبة العلمية، لبنان، دون رقم سنة الطبع.
- 10- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي محمد بن أحمد، ت: بشار عواد، دار الغرب، دون مكان الطبع، ط1، 2003م.
- 11- التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار، محمد بن عبد الله البنسي، ت: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، دون رقم الطبع، 1995م.
- 12- الجزائر الثائرة: الفضيل الورتلاني الجزائري، إبراهيم بن مصطفى، دار الهدى، الجزائر، ط2009، 4م.

- 13- جامع بيان العلم وفضله: بن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1994م.
- 14- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس: محمد بن فتوح الأزدي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، دون رقم الطبع، 1966م.
- 15- حاشية العدوي على كفاية الطالب الرّبّاني: العدوي عليّ بن أحمد الصعيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م.
- 16- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين الحموي الأصل الدمشقي، دار صادر، بيروت، دون رقم وسنة الطبع.
- 17- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.
- 18- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: المراكشي محمد بن محمد، ت: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب، تونس، ط1، 2012م.
- 19- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: السلاوي أحمد بن خالد، ت: جعفر الناصري، دار الكتاب، المغرب، دون رقم وسنة الطبع.
- 20- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: مخلوف محمد بن محمد، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003م.
- 21- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: بن بشكوال خلف بن عبد الملك، عناية: عزت العطار، مكتبة الخانجي، دون مكان الطبع، ط2، 1955م.
- 22- طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس: أبو العرب محمد بن أحمد الإفريقي، دار الكتاب، لبنان، دون رقم وسنة الطبع.
- 23- عنوان الدّراية فيمن عُرف في المائة السّابعة ببجاية: الغزّيني أحمد بن أحمد، ت: عادل نويهض، دار الآفاق، لبنان، ط2، 1979م.
- 24- الفواكه الدواني على رسالة القيرواني: النفراوي أحمد بن غنيم، ضبط عبد الوارث محمد عليّ، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م.
- 25- فهرس الفهارس والأثبات: عبد الحيّ الكتاني، ت: إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط2، 1982م.

- 26- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، دار إحياء التراث، دون مكان ورقم الطبع، 1941م.
- 27- لسان العرب: ابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، دون مكان ورقم سنة الطبع.
- 28- المصباح المنير: الفيومي أحمد بن محمد بن علي، مكتبة لبنان، لبنان، دون رقم الطبع، 1990م.
- 29- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: الخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحمان، دار الفكر، لبنان، ط3، 1412هـ - 1992م.
- 30- منح الجليل شرح مختصر خليل: عlish محمد بن أحمد، دار الفكر، بيروت، دون رقم الطبع، 1409هـ/1989م.
- 31- معجم البلدان: الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- 32- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1400هـ-1980م.
- 33- معجم المؤلفين: كحالة عمر بن رضا الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دون رقم سنة الطبع.
- 34- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف بن إلبان بن موسى سركيس، مطبعة سركيس، مصر، دون رقم الطبع، 1346هـ-1928م.
- 35- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: التنبكي أحمد بابا السوداني، دار الكاتب، ليبيا، ط2، 2000م.
- 36- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: البغدادي إسماعيل بن محمد أمين، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دون رقم سنة الطبع.



